المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 31-01-2006 العـــدد : 9926
الصفحـات : 16 المسلسل : 93

عبد الله بن عبد العزيز وعبد الناصر: بين صين الشرق... وهنده

فؤاد مطر

غطت جولة الملك عبد الله بن عبد العزيز في الدول الكبرى في الشرق الاقصى الصين والهند، تليهما من حيث الكبر والأهمية ماليزيا وباكستان، وتجيء على قاعدة من القراءة المتأنية لواقع الحال الدولي، وتغطية للسؤال حول كيف ان حصر الشراكة على مدى اكثر من نصف قرن في دول دون اخرى، بات مثل كفة ميزان تميل دائماً لمصلحة هذه الدول التي نشير اليها، وهي تحديداً الولايات المتحدة والدول الاوروبية عموماً، مع بعض التفاوت حسب اهمية هذه الدولة او تلك، وهذا الحصر كانت له في الماضي ربما بعض مبرراته على أساس ان دولة مثل الصين على سبيل المثال دولة ماركسية، وأن التنمية فيها لا تشجع على التعامل معها، وحتى في موضوع التخاطب فإن الوسيلة شبه معدومة، لكن صين الحاضر حالة مختلفة تماما، فالماركسية تتراجع ببطء انما من دون إحداث صدمات. وفي الوقت نفسه هنالك رضى في نفوس المليار نسمة الموزعين على «القارة الصينية» اذا جازت التسمية، فارتياحت الصين بعض الشيء من اثقال كراسها القدامى المتعصبين للعقيدة الماركسية، واختارت الطريق الثالث بين الماركسية والرأسمالية واستنبطت ما يجوز اعتباره مبادىء اولية للاشتراكية المقبولة البعيدة عن ثغرات سرقة المال العام والفساد على نحو ما حدث وما زال يتواصل في بعض الانظمة الاشتراكية في دول العالم الثالث وبالذات العربية من هذه الدول، وأمامنا مثال «هونغ كونغ» و«شنغهاي» وعلى الطريق محطات اخرى.

ومن هنا سيتكاثر الصينيون في ضوء زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز كون هذه الزيارة مثل فتح بوابة للصين على العالم العربي تختلف في عوائدها عن تلك الحاصلة عليها حتى الآن نتيجة علاقات قديمة بين فقراء العرب امثال السودان، الذي كان المبكر وإن من باب اغاظة السوفيات في السبعينات في تمتين اواصر العلاقة مع الصين، مستحضرين على سبيل المثال قيام صين ماوتسي تونغ وشو ان لاي ببناء «قاعة الصداقة» في الخرطوم للسودان الذي ترأسه جعفر نميري رداً على زيارة قام بها الى الصين، التي لا يزورها الحكام العرب ويكلفة لا تتجاوز ثمن طائرة حربية سوفياتية واحدة، كما ان الصين وفي اطار حل العقدة المستحكمة في النفس والمشار اليها تواصلَ تقديم نفسها على انها الحل التكنولوجي المتوسط الثمن لكل شعوب العالم، وانها القادرة على انتاج ابتكارات الغرب الاميركي والغرب الاوروبي من الثياب الى الكهربائيات الى وسائل النقل الى الالعاب وغيرها.. وقريبا السيارات وصولا الى التكنولوجيا الاكثر تقدماً وأهمية، وتسويق كل ذلك بربع الثمن الذي تضعه الدول الغربية لهذا الانتاج على انواعه.

والشاهد هنا أن الصين ستكون خلال فترة زمنية قد لا تتجاوز ربع قرن، ذات حضور دولي مبهر وربما قد تصبح الدولة الأولى في حال حدث انهيار لا مبرر طو ر يـة الاميركية.

من هنا فإنه عندما يقوم الملك عبد الله بن عبد العزيز بزيارة الصين بادئاً بها جولته على الدول النمور في الشرق الاقصى، فإنه يضيف الى البنيان ما سبق ان وضع حجر الاساس له قبل نصف قرن الرئيس جمال عبد الناصر، وتلك رؤية رجال الدولة المتميزين مع فارق أن ما كان يتطلع اليه عبد الناصر كان شراكة سياسية، بينما الذي يريده عبد الله بن عبد العزيز هو تصويب مبدأ الشراكة مع العالم. وعلى هذا الاساس فإن النجاح الذي حصل عليه عبد الناصر من ماوتسي تونغ وشو ان لاي، حصل عليه عبد الله بن عبد العزيز من جين تاو الرئيس الحالي للتوسط العمر للصين، ومن وزير الخارجية ناشو شينغ، اللذين لم يخفيا تأثرهما كما الرأي العام الصيني بأن الملك عبد الله بدأ جولته بالصين اي بالنقطة الابعد، وبانه قال لهم ان المملكة العربية السعودية «ملتزمة بالصين الواحدة» وهو أمر له حساسيته البالغة لدى القيادة الصينية التي اكثر ما يزعجها من اي حكومة في العالم، ان تعتبر هذه الحكومة ان هنالك ايضاً صين تايوان. وهذا الانزعاج وصل الى ذروته قبل ايام رداً على موقف بالمعنى المشار اليه صدر عن سيف الاسلام معمّر القذافي، وعندما نتحدث عن التجاوب نأخذ في الاعتبار أن الشراكة السياسية التي ارادها عبد الناصر من الصين لاستكمال بناء «حركة عدم الانحياز» جعلته لا يتطرق الى وضع المسلمين في الصين الذين كانوا منذاك حوالي سبعين مليوناً ويعيشون ظروفاً صعبة على صعيد الممارسة الدينية، كون النظام الماركسي متشدداً في موضوع الدين، في حين يرى الملك عبد الله بن عبد العزيز ان تاريخ الاسلام في الصين الذي يعود الى 1300 سنة على نحو ما تشير الى ذلك المصادر التاريخية، وتزايد عدد المسلمين الذي يوازي عدد سكان دول الخليج مجتمعة، بمن فيها العراق وإيران، تستوجب إدراج اوضاع «الاسلام الأصفر» في جانب من المحادثات، ذلك ان الأمر مسؤولية تجاه مسلمي الصين الذين هم كنسبة يشكلون سدس عدد سكان أمة المليار ونصف المليار مسلم. ولا نستبعد صدور خطوات عن القيادة الصينية الحصيفة تتعلق بهؤلاء، كأن يكون لهم مسجدهم الكبير في بكين، فضلاً عن مساجد اخرى في المقاطعات التي يعيشون فيها.

المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 31-01-2006 العـــدد : 9926
الصفحـات : 16 المسلسل : 93

وتكون لهم ايضاً اكاديمية اسلامية تبعدهم مناهجها عن افكار التعصب، علماً بأن هؤلاء ما زالوا على درجة من النقاء في فهمهم للإسلام وممارستهم لطقوسه.

ما يقال في شأن المحطة الصينية للملك عبد الله بن عبد العزيز يقال ايضاً بالنسبة الى المحطة الهندية التي كان للمملكة فيها موطئ قدم الى جانب موطئ القدم المصري. ونقول ذلك مستحضرين الزيارة التي قام بها الملك سعود بن عبد العزيز عام 1955 الى نيودلهي، ورد البانديت نهرو عليها بالمثل زائراً الرياض عام 1956 وفاتحاً بذلك الطريق امام المزيد من التلاقي السعودي ـ الهندي، الذي كان قابلاً للتطور سياسياً واقتصادياً، لولا ان ابنة نهرو انديرا غاندي التي شغلت منصب رئاسة الحكومة لقيت حتفها اغتيالاً ودخلت الهند في دوامة صراعات ثأرية ومذهبية لم تهدأ بعد بالشكل النهائي. وكما ان تطلعات عبد الناصر بالنسبة الى الصين كانت ذات منحى سياسي، فإنها بالنسبة الى الهند كانت كذلك بدليل ان التجانس في التفكير وفي الدور المأمول بين عبد الناصر ونهرو، ساعد على قيام حركة عدم الانحياز. اما بالنسبة الى الملك عبد الله بن عبد العزيز فإن عنصر التنوع في المشاركة وعلى الاساس الاستراتيجي وتبادل مشاريع الاستثمار هو الذي يتقدم على الهموم السياسية. ومن اجل ذلك فإن ما اصاب تطلعات عبد الناصر لن يصيب تطلعات عبد الله بن عبد العزيز من دون ان يعني ذلك ان المناخ السياسي الذي سيدشنا عن المحطة الثانية للجولة وهي الهند، واللفتات ذات التميز على صعيد نوعية الاستقبال الذي لقيه الملك والكلام الذي سمعه من القادة الهنود سيساهم ولا بد في تحقيق انفراجات في الصراع الباكستاني ـ الهندي الشبيه في بعض جوانبه بما هو حاصل بين لبنان وسورية، وذلك لأن الصراع الاول شأنه شأن الثاني يفتقر الى بذل المساعي الحميدة المتجردة والحريصة. وبعد زيارة الملك عبد الله للهند اكتملت نقطة الحرص عنده بالنسبة الى الهند بعدما كانت حكراً على باكستان التي جاءت المحطة الاخيرة للملك في جولته بعد المحطة الثالثة ماليزيا التي تصلح تجربتها الصناعية امثولة لمن يريد البناء الذي يدوم.

خلاصة القول ان الجولة استثنائية في ظروف استثنائية يقوم بها رجل دولة استثنائي، سبق ان وضع على طاولة المجتمع الدولي مبادرة كان من الصعب ابتكارها، ونعني بها «المبادرة العربية» في شأن الصراع مع اسرائيل، ورؤية كان من الأصعب بلورتها ونعني بها «بلاغ مكة»، وهو في طرْق أبواب الشرق الاقصى كان يبعث برسالة الى الذين استثمروا في الماضي بالشراكة، مفادها ان الصين ليست تنيناً يخيف وإنما هي دولة يمكن الاعتماد عليها وأنها تطلب الود... بينما آخرون يُكثرون من المطالب المستعصية ومن دون ان يقدّموا ما يراعي المشاعر ويريح الضمائر.